

صاحب الجلالة يوجه خطاباً إلى شعبه بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

عشنا في الأيام الأخيرة أياماً كانت مليئة بالحبور والمسرات، ومشاعر كانت طافحة بلين ورقيق وعميق الاحساسات.

فمنذ أن وطأت أقدامنا أرض عاصمتنا الجنوبية — مراكش — إلى أن وصلنا إلى عاصمتنا الاقتصادية — الدار البيضاء — ما لقينا وما شاهدنا إلا شعباً يبحث عن أجدى السبل وأرقاها وأحسنها للتعبير عن تأييده لسياستنا، وعن تعلقه بشخصنا، واستماتته فيما يجمعنا جميعاً ألا وهو وطننا.

وأريد بهذه المناسبة العائلية أن أشكر قبل كل شيء سكان مدينة مراكش ونواحيها على ما أظهروه أيام ختان ابننا صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد من فرح وابتهاج، ومشاركتهم تركت أطيب الأثر في النفس، ولا عجب فيما قاموا به وما أظهروه وعبروا عنه، فأولادي ليسوا إلا أولادكم وفلذات أكبادكم.

وحينما غادرنا مراكش مررنا بأقاليم الصويرة وآسفي والجديدة وبعض النواحي من الدار البيضاء، فكان نفس الحماس ونفس الالتفاف ونفس الارادة عن التعبير، وهو تعبير عما سأحاول أن أشرحه لك شعبي العزيز حتى أجرب نفسي وحتى أعلم هل هناك كما أقول تلك الرابطة الثابتة بيني وبينك ؟ وهل حقيقة كما ادعيته ؟ وهو ليس بادعاء، بل ما هو إلا حقيقة يمكنني أن أجس نبضك، وأن أعرف مدى ضغطك الدموي من الناحية السياسية ؟

من مراكش إلى الدار البيضاء على طول مئات الكيلومترات أحسست — وهذا يقيني ولست أظن أنني غالط في نظرة كل واحد منكم، وفي نوعية الهتاف، وقدسية النظرات إلى السماء — أنه ولو كانت أجسامنا حاضرة على طول الطريق من مراكش إلى الدار البيضاء، فإن أرواحنا وعواطفنا كانت في الحقيقة في صحراء بلدنا، هذا إحساسي شخصياً، وليس ادعاء مني إذا قلت : إنه كان إحساسي، لأنني لمست نوعية خاصة في التعبير عن مشاعرك، شعرت بسرور مقدس وبافتخار عميق وجدي، وشعرت بهتافات لم تكن هتافات تعبر عن الفرحة، بل هتافات تعبر عن الاعتزاز بمغربيتنا، وعن التأييد المادي والمعنوي، لقد كانت هتافات تعبر عن الترحم على شهدائنا الذين ماتوا في صحرائنا.

هذه شعبي العزيز مما لاشك فيه ظاهرة أخرى جديدة من عبقرية الشعب المغربي، والأسرة المغربية، ظاهرة حتى في أفراحها ومسراتها لا ترقص لترقص، ولا تهتف لتهتف، ولا تزغرد لتزغرد، ولا تحيي لتحيي، بل لكل واحدة من هذه الاشارات نوعيتها ومدلولها، فمن الواجب على من قلده الله أمر هذه الأمة من الملك والمسؤولية أن يقرأ بين السطور اللقاءات والترحيب، فالشعب المغربي من جملة ما أعطاه الله، أعطاه غنى وخيراً كثيرين في كيفية التعبير عن أفكاره.

طيب شعبي العزيز، لقد فكرت جدياً بعدما أحسست هذا الاحساس، فشعرت أننا نتكلم كلنا بهمسات وبغمزات وبالغاز لا يمكن لأي أجنبي أن يفهمها أو أن يترجمها بل لا يفهمها إلا أنا وأنت، فبقي لي بعد ذلك

أن أحاول ترجمة هذه العواطف — بل هذه العزائم، بل هذا التخطيط — إلى حقيقة من شأنها أن تضمن لهذا الشعب ولهذه الأمة ولهذا الوطن سلامة أفراحهم، وطمأنينة مستقبلهم في أفراحهم، لأن الشعوب الحزينة ليست هي الشعوب السعيدة.

وبعد التفكير وصلت إلى ما سبق أن أشرت إليه في بعض المناسبات من أنك كنت في الماضي محسوداً، وها أنت في الحاضر محسود، ومما لاشك فيه ستبقى في مستقبلك محسوداً، لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى أعطاك أولا وحدة متكاملة متراصة من شمالك إلى جنوبك، ومن شرقك إلى غربك، وأعطاك ثانياً الحرارة والحماس في أفكارك وعواطفك، وأعطاك أيضاً التحكم في تلك العواطف.

وخيراً من الناحية الجغرافية أعطاك الله أرضاً فيها من الخيرات ما يوجد تحت الأرض وما يوجد فوقها، وما يوجد في الماء وتحت الماء، كما أعطاك شواطىء، وأعطاك ملتقى البحرين، وأعطاك طرفاً من البحر الأبيض المتوسط، وطرفاً أكبر من المحيط الأطلسي.

وخلاصة القول أعطاك موقعاً جغرافياً وستراتيجياً، جغرافياً من ناحية المناخ، إذ أنت في آن واحد أوربي الطقس وافريقي، الشيء الذي سيتمكن من تنويع محصولاتك الزراعية، وذلك هو المستقبل.

لذا سيكون ندائي اليوم إلى الشباب بالخصوص لأقول لهم : إن أجدادكم وآباءكم قد قاموا بواجبهم أحسن قيام، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

أما أنتم يا رجال الغد فالمعول عليكم أن تعطوا لبلدكم أكثر مما أعطيتموه حتى اليوم، وما أعطيتم القليل، ولكن أنا لا أقنع منكم بهذا القدر.

شباب اليوم ورجال الغد

إن المغرب قرر نهائياً أن لا تنطلي عليه الحيلة من جديد، تلك الحيلة التي جعلتنا شعبا أعزل غداة المسيرة، تلك الحيلة التي جعلتنا نتلقى الضربات من الجهات التي لم نكن ننتظرها، تلك الحيلة أعطتنا «الاسبرين» والمخدرات السياسية حتى لم يبق بيننا وبين تدهور الأحوال العسكرية إلا رحمة الله.

لقد كنت أعيش تلك السنوات وحدي، و لم أكن أريد أن أبلغها لكثير من مستشاري أو رفاقي أو حاشيتي، ولكن كنت أتقاسمها مع بعض الضباط وأنا الذي وصلت إلى العمق الخطير، وإلى الحضيض الخطير الذي وصل إليه المغرب بسبب ثقته بالوعود، وبسبب التزامه قانونياً وسياسياً وبشرياً.

ولكن الله سبحانه وتعالى إذا قال : إنه يعطينا على قدر نيتنا، وإذا قال : إنه سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صورنا ولكن إلى ما في قلوبنا، لم يرد أن ينصر الغدر على الوفاء، بل جعل الوفاء والاستقامة ينتصران، ولقد انتصرت تلك الاستقامة، وانتصر ذلك الوفاء بصبر من بقوا على وجه الأرض وباستشهاد من مات منهم.

واليوم وقد تغيرت الأحوال — ولله الحمد — مائة في المائة يمكن أن أقول : إنني مطمئن على مستقبل قضيتنا الصحراوية، ولكن أي قضية صحراوية ؟ هل قضية الثمانينات، أو قضية التسعينات، أو قضية القرن المقبل ؟ وهل ستنتقل مشكلتنا الصحراوية إلى مشكلة بوغازية ؟ وهل ستبقى المشكلة بوغازية ولا تصبح مشكلة أطلسية ؟

ولهذا قلت لكم شبابي العزيز : إنكم مطالبون منذ اليوم بالتفكير جيداً في الحفاظ على وطنكم، ذلك

الوطن الذي بدونه لا تحلو عيشة، ولا يلذ عيش، ولا يطيب نسيم، ولا يحلو ماء.

عليكم أن تدخلوا المدارس العسكرية، تلك المدارس العليا التي أصبحت بمثابة الكليات، لأننا إذا أردنا أن نخلق جيشاً متطوراً مقداما قادراً على تحمل مسؤولياته يكون في مستوانا ومستوى ما نحن مؤتمنون عليه من أرواح وخيرات وتراث ودين، فعليكم أن تلجوا تلك المدارس لتهيئوا أنفسكم، ولتكونوا مع القرن العشرين في مستوى واحد، سواء من الناحية المدنية أو الطبية أو الهندسية أو الفلاحية أو الحربية.

فلم تبق اليوم أسلحة ولا جيوش تكتفي بالباكالوريا، فكل سلاح من أسلحة الجيوش بمختلف أنواعها برياً كان أو بحرياً أو جوياً يتطلب في جميع المستويات سواء الثانوية أو العليا تكنولوجية ومعرفة في الحساب وفي الرياضيات.

فلهذا شعبي العزيز عليك أن تلج مدارس الطيران ومدارس البحرية ومدارس السلاح البري، عليك أن تعلم شعبي العزيز مثلا أن كل طائرة نفاثة تتطلب ثلاثة ربابنة، وتستلزم حينما تكون في الجو أن يكون لها في الأرض طاقم خاص بها لا يمكن أن يقل عن عشرة أشخاص، وعلى كلهم أو جلهم أن يكون على معرفة واطلاع تام بالحساب والرياضيات.

فإذا اشترى المغرب مثلا عشر طائرات نفاثة احتاج إلى ثلاثين من الربابنة وإلى مائة على الاقل من الميكانيكيين والاختصاصيين في الرادار وفي اللاسلكي.

ولا تقولوا لي أو تجعلوني أظنكم بخلاء بطرف من أعماركم، تقولون لي ماذا سنعمل في الطيران وفي البحرية أو في جيش المشاة ؟ لماذا سنضيع عشر سنوات أو خمس سنوات ؟

لماذا ؟ أولا فهذه الدولة ربتكم، وهذه الدولة لقنتكم العلم، وهذه الدولة سهرت على أن تستخلص الجبايات في أوقاتها حتى تؤدي لكم المنح، وسهرت على أداء الواجبات لمن هو موظف من عائلاتكم أو من غير العائلة، لأن هذه الدولة أصبحت في إطار قانوني تسيطر على كل واحد سواء الذين يعملون في الاطار العام، أو في الاطار الخاص، فالطبيب من يضمن له أمنه ؟ من يضمن استمرار الكهرباء في عيادته حتى يتمكن من استعمال الراديو أو آلة الأسنان أو القيام بما يجب القيام به ؟ ذلك الجراح الخاص من يضمن له الوقود، من يضمن له زبوناً من زبنائه يؤدي له أجرته وهو ملزم بأن يؤديها له ؟، وزد وزد على ذلك.

بحيث هذه الدولة التي أنتم مطالبون بخدمتها، مفروض عليها أن تعمل، فماذا سنعمل ؟

سنعمل على رفع المستوى العلمي والتقني للأكاديميات العسكرية، حتى إذا تخرج منها ضباط واختاروا البحرية وهندستها، والجو وهندسته، والجيش البري وتفاصيل ما هو مجموع في هذه الكلمة كلمة الجيش البري من طب وهندسة ومدفعية وآليات وميكانيكيات ومواصلات تضمن له — فيما إذا خرج يوماً ما تلقائياً من الجيش أو وصل إلى سن التقاعد — وسنعمل على أن يكون التقاعد تقاعداً شاذاً قصيراً، بمعنى أن الرجل الضابط يمكن إذا أراد أن ينفصل عن الجيش، يمكنه وهو في سن الخامسة والأربعين أن يلتحق بالميدان المدني وهو مسلح بأحسن سلاح، ألا وهو المعرفة، كانت رياضية أو طبية أو حقوقية أو قانونية، لأن حتى القانون العسكري في المحاكم العسكرية يتطلب كذلك تقنيين في أعلى مستوى التقنية، وفي أعلى معرفة بأحكام القانون.

ماذا ينفعنا شعبي العزيز إذا نحن قررنا الخدمة العسكرية ولو على خمسة آلاف شخص ولسنتين ؟ بماذا



ستنفعنا هذه الخدمة العسكرية بالنسبة للجنود إذا نحن لم نوفر لها أطرا كافية سواء في الجيش العامل أو في جيش الاحتياط.

فمثلا بعد عشر سنوات سنخرج خمس مرات خمسة آلاف في كل سنتين، إذن سيكون لنا 25000 من رجال الجيش نكون قد دربناهم وأخرجناهم من الجندية، فإذا ما أردنا هذا الجيش في يوم ما سنجده، ولكن من سيكون أطرا له ؟ ومن سينظم الدفاع وأقول الدفاع لأنني لست مهاجماً ؟ و لم يسم المغرب قط ولن يسمى وزارة الدفاع وزارة الحرب، لأن والدي رحمة الله عليه كان لا يريد أن تسمى تلك الوزارة بوزارة الحرب، إذن فمن سيندفع في الواجهة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ؟

من سيعطينا الاحتياطي من الضباط وضباط الصف ؟ أولئك الذين قاموا إما كجنود بخدمتهم العسكرية، واما أولئك الذين شاركوا إخوانهم العسكريين مشاركة منتظمة في حياتهم العسكرية.

عليكم أن تعلموا يا شباب اليوم ويا رجال الغد أن فكرة الدفاع لم تبق اليوم منحصرة في البندقية والجندي والضابط والدبابة والطائرة، فكرة الدفاع الوطني أصبحت حتى في الصناعة وبالأخص في الصناعة.

علينا أن نعلم وأن نحصي الصناعات التي هي ستراتيجية بالنسبة للحياة المغربية اليومية، وأن نعلم هل سيمكننا أن نعيش إذا قطعت علينا كيفما كان نوعها أو حرمنا منها ؟

وحتى في التفكير من ناحية اختيار الصناعات لابد أن نعمل في ضلع خاص الصناعة والانتاج الذي هو ضروري للقوت اليومي وللحد الأدنى لمعيشة كريمة تتطابق مع إطارنا الديمقراطي، إذ من المعلوم اننا لو كنا نعيش حياة ديكتاتورية لكان عشرون شخصاً في قمة المكتب السياسي يعيشون في رغد العيش والباقي في شظفه، إن إطارنا الديمقراطي يجعلنا فيما إذا وقع خطر — لا قدر الله — نأكل جميعاً خبزاً واحداً، ونستغل كلنا قسطاً واحداً من الماء ونستعمل قسطاً موحداً من الطاقة الكهربائية، ونلبس نوعاً واحداً من الثياب، هذه الحالة عشتها وأنا في المدرسة المولوية لما كانت الحرب العالمية الثانية، فكنا لا نأكل إلا نوعاً من الخبز، ولا نلبس إلا نوعاً من الثياب التي كنا أحياناً نأخذها من لاسافط.

طبعاً كانت تلك حرباً لم يكن للمغرب ناقة فيها ولا جمل، ولكن فيما إذا وقع على المغرب اعتداء فعليكم أن تعلموا أن أنواع الدفاع متنوعة، وأن الدفاع يجب أن لا يكون في واجهة واحدة وفي موجة واحدة، الدفاع هو موجات وموجات من البشر، ومن الآليات، ومن البشر المتخصص الذي يفكر جيداً يحسن استعمال ما أوتي بين يديه من أسلحة متطورة وغالية جداً.

ألا تعلم أن كل طائرة نفاثة يفوق ثمنها ستة ملايير، ولكن إذا كان يمكنني أن أعوض طائرة أو أشتري أخرى في الشهر المقبل، فهل يمكنني أن أعوض سائق الطائرة ؟ أو الربان الذي في السفينة البحرية بين عشية وضحاها إذا لم يكن للمغرب مدخر من الرجال كماً وكيفاً ؟

لا أقول لكم هذا شعبي العزيز لأن حاضركم أو مستقبلكم متلبد بالسحب وغير مشرق بأنوار الشمس، لا أبداً، قلت لكم ينبغي أن لا تنطلي عليكم الحيلة كما انطلت علينا نحن هذا الجيل، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين.

آمنا بما قيل وكنا على شفا حفرة، ولكن الله سبحانه وتعالى، يأبى أن يذل من يؤمن ويعتصم به، فإذا

أنتم لم تحتاطوا بشرياً ومادياً وعسكرياً فيمكن أن يقع أخطر من هذا، لأن بلدكم كما قلت لكم محسود، ولأنكم شعب متميز بخصائص حسنة وخصال حميدة كالتأني والتروي والحكمة، وعدم الاندفاع، وإلى جانب كل هذا انكم شعب يتحكم في حماسه.

من كان يعتقد انني أنا عبد الله الضعيف لما قلت لكم أيام المسيرة : قفوا، إن المسيرة قد أدت مهمتها — أظن هذا ما حدث إذا لم تخني ذاكرتي — فعلينا أن نرجع، لقد كانت تلك اللحظة أهم وأخطر من لحظة الانطلاقة.

فمن الذي كان منكم لا يرغب في أن يذهب إلى العيون ولو راجلا ؟ كلكم كنتم كذلك، ولكن وجدتكم تتحكمون في عواطفكم، ومن تحكم في عواطفه تمكن من اتخاذ قراراته ومع الحساب، هذا لي وهذا علي.

معلوم تبقى فرجة لله وللمجهود، ولكن كيفما كان الحال ففرصة الفرجة ضئيلة جداً ويكون موقع الزلل أو مساحة الزلل قصيرة جداً.

لماذا أريد أن تأخذوا احتياطاتكم ؟ لأن عندكم بحرين، وقليل من له بحران، لماذا طلبت منكم أن تأخذوا احتياطكم ذاك ؟ لأن عندكم نصف مضيق جبل طارق، وإذا سد ذلك المضيق فإن البحر الأبيض كله سيموت اقتصادياً، ثم لا يعقل أن تكون الجسور الجوية كافية وحدها لضمان قوت بعض الدول.

لهذا شعبي العزيز لا أريد لمن سيأتي بعدي أن لا يبقى يرى ابتسامتكم ابتسامة مغربية، ولا زغاريدكم زغاريد مغربية، ولا نظرتكم إلى المستقبل تلك النظرة البشرية والحادة في آن واحد، نظرة الايمان بالله، ونظرة الارادة على خلق المستقبل، على عجنه مثل الخبز، أريد أن يكون مستقبلي طويلا كهذا، لأن المغاربة من الناس الذين يعجنون المستقبل على شرط أن يبقوا مسلمين مؤمنين بالله، ويؤدوا شعائره، وأن يصوموا رمضان وهو على الأبواب، وأن يؤدوا الصلوات، فهذا هو السلاح الحقيقي الذي يكون فيهم تلك الفضيلة الخلاقة لتلك الأخلاق الأرضية، ولا يمكن للأخلاق الأرضية أن تنمو إلا في عش من الأخلاق الربانية.

ومن اتى بعدي وبعدي — إن شاء الله — سوف يراكم مبتسمين الابتسامة المغربية، متسلحين بالحماس المغربي، متسمين بالشجاعة المغربية، فإذا فهمتهم مضمون خطابي هذا **فستقبلون** على المدارس العسكرية اقبالا حماسياً، لأنها ستفتح لكم أبواباً مثل التي تفتح في الجامعات، وربما ستجعلكم تصلون إلى أهدافكم في مدة أقصر، لأن في الكليات العسكرية لا توجد اضرابات، وعلى الأقل فكل من قرر أن يدخل مدرسة الطب العسكرية أو الهندسة العسكرية أو الطيران العسكري لن يكون عنده اضراب وسيربح السنوات.

وبهذه المناسبة لا يمكنني أن أتكلم عن أخلاق المغربي، وعن تربية الشباب دون أن أفكر فيمن يلقنه العلم ويربيه على الأخلاق الطيبة، ففي هذه المناسبة قررنا أن نعطي أمرنا إلى وزيرنا في التعليم حتى يمكن للذين اضربوا من الأساتذة وابعدوا عن عملهم أن يلتحقوا بشغلهم وعملهم علماً منا كما قال زغلول : «إن الوطن غفور رحيم»، ولا أريد هنا أن أحلل أو أستخلص في النهاية الأسباب الحقيقية التي دفعتهم للقيام بذلك حتى اتخذت تلك الاجراءات، فنحن في أيام مسرة، في أيام عيد، وأيام المغرب كلها والحمد لله أعياد.

شعبي العزيز

والله ثم والله لو عشت معي ولو لحظة شهر من 1975 إلى هذه السنة على الخريطة في الصحراء لما

أغمض لك جفن لمدة عشر سنوات أخرى، فلازم أن أقول لك الآن : اننا في حبور وعلينا أن نظهر الفرحة، ونظهر الشكر لله، لأن من لم يشكر النعمة تعرض لزوالها، لا أقول : اننا انتصرنا تماماً، ولكن أحس أن المسألة مثل ذلك الشخص الذي يصطاد السمك ويشعر من خيط السنارة هل قرب أن يخرج رأس السمكة من الماء أم لا ؟ أظن أنه قريب، وإن كانت الصحراء ليس فيها ماء، فهو قريب.

ففي هذه الغمرة، وفي هذا التفكير في المستقبل أظن أنه لم يبق مجال لمن أراد أن يتلاعب أو يشاغب أن يتلاعب أو يشاغب.

الحمد لله لم يكن شعبي قط موحداً كما هو موحد الآن، ولم يكن واعياً كما هو واع الآن، ولم يكن مصمماً — وهذا هو المهم — كما هو مصمم الآن.

فلهذا، الوطن غفور رحيم، فعسى أن يلتحق هؤلاء بالادارة في أقرب وقت، وقد أمرنا أن تعطى لهم أجرة شهر أو شهرين اعتباراً لأبنائهم، كما أن منهم من يريد أن يكتري بيتا ولو صغيراً على شاطىء البحر أو يذهب إلى الجبل، فلا ينبغي أن يحمل **الأوزار** الأطفال ونحن كلنا آباء أسر.

وأملي أن يدرك الجميع مغزى ما قلته من أول خطابي إلى الآن.

شعبي العزيز :

أرجو أن لا أكون أخطأت في تقديري، ولكنني مازلت أؤكد أن لقائي بك من مراكش إلى الدار البيضاء كان لقاء من نوع خاص، وإن أجسادنا كما قلت لك كانت في الطريق، كانت في مراكش في الصويرة في آسفي في الجديدة في الدار البيضاء، في الحي المحمدي في المحمدية، ولكني أنا مؤمن وموقن ولا تغفلني من بالك، وهذا ما يجعلني أعتقد أن بيني وبينك آصرة خاصة يمكن أن أعرف بها دقات قلبك، وأنا موقن اننا كلنا كنا في الصحراء، كلنا كنا مع إخواننا وأخواتنا الموجودين هناك، مدنيين وهم يتحملون الأمرين، وعسكريين وهم يضعون في كل يوم من الثامنة صباحاً إلى الثامنة مساء أرواحهم في يدي الله.

فإذن شعبي العزيز ليكن هذا العيد عيد الشباب، عيد الشباب المنتظر منه أن يكون أحسن خليفة.

عليك شعبي العزيز وشبابي العزيز بإرادة الله وبعون منه أن يستخلفك في الأرض كما استخلفنا الله في الأرض.

فعليك بعدما تكون مستخلفاً أن تختار لنفسك فضيلة، ولا فضيلة لك إلا فضيلة التراث والتاريخ، وتختار ديناً لك ولا دين لك إلا الاسلام، وأن تختار طريقه ليجعلك الله في مأمن ويبدلك الله من بعد خوفك أمناً، ولا طريقة لك إلا أن تعول على نفسك، وارتفاع تقنيتك، وارتفاع معنوية جيشك، وتطور أسلحته، وإذ ذاك يمكن لكل جيل جيل إذا هو تتبع هذه النصيحة الضرورية أن يكون مطمئناً على من يخلفه، مطمئناً على استمرار شعبه ودوره في العالم طيلة القرون وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الثلاثاء 24 شعبان 1400 — 8 يوليوز 1980